رؤيـــــة

المشهـــد المصـــري مـــن منظـــور نفســـي

www.arabpsynet.com/Documents/DocIsmailEgScenePerspPsy.pdf

د علي إسماعيل عبد الرحمن
استاذ م الطب النفسي بطب الآزهر
استشاري بمستشفي عمليات الخفجي المشتركة
alysmail4@gmail.com

المشهد السياسي في مصر مغري جدا للمهتمين بالعلوم النفسية خاصة أنه يتغير بسرعة البرق وبطريقة غير متوقعة ، وحتي الآن خلاصة المشهد سياسيا هو خسارة فادحة لكل رموز المعارضة سواء السياسيين أو الإعلاميين ومناقشة هذا ليس هدفي في هذه المقالة بل هدفي هو مناقشة سريعة للأحداث من منظور مدرسة التحليل النفسي.

خلاصة المشهد سياسيا هو خسارة فادحة لكل رموز المعارضة سواء السياسيين أو الإعلاميين ومناقشة هذا ليس هدفي في هذه المقالة بل هدفي هو مناقشة سريعة للأحداث من منظور مدرسة التحليل النفسي

فجميع الأطراف في المشهد السياسي سواء اعلاميون أو ليبراليون أو اسلاميون معارضة كانوا أو مؤيدين يتعرضون لضغوط نفسية شديدة منذ يناير 2011 ، فجميع من علي الساحة الآن كانوا قبل هذا التاريخ راضون بلعب دور سياسي ينتهي عند رئاسة الوزراء أو عضوية المجالس النيابية ، والإعلاميون راضون بدورهم في اظهار السلبيات والبكاء علي حضارة سبعة آلاف سنة دون أن يضع خطط واقعية لتغيير هذا الوضع المؤسف ، وفوجئ الجميع بخروج مبارك من الحكم ، ولأنهم كانوا مغيبون ولم يخططوا لهذا المشهد سابقا ظهرت الأطماع البشرية واختفي النضج السياسي والعلمي وكذلك كل أنواع التسامي سواء الديني أو الاجتماعي وبدأ الجميع يبحثون عن دور مما جعلهم جميعا بلا استثناء يستخدمون الحيل الدفاعية المرضية بلا توقف حتي الآن.

فوجئ الجميع بخروج مبارك من الحكم ، ولأنهم كانوا مغيبون ولم يخططوا لهذا المشهد سابقا ظهرت الأطماع البشرية واختفي النضج السياسي والعلمي وكذلك كل أنواع التسامي سواء الديني أو الاجتماعي

وحتي لا يكون كلامنا نظريا وبلا فائدة تعالوا نلقي الضوء علي المشهد وأحداثه بالأمثلة.

ما هي الحيل الدفاعية ؟

أول من أدخل مفهوم الحيل الدفاعية هو **سيجموند فرويد**، ويرى أن الناس يلجئون إليها لحماية أنفسهم وتساعدهم على معالجة الصراعات والإحباطات وهي أساليب عقلية لا شعورية تقوم بتشويه الخبرات وتزييف الأفكار والصراعات التي تمثل تهديداً للشخص. وهي

بدأ الجميع يبحثون عن دور مما جعلهم جميعا بلا استثناء يستخدمون الحيل الدفاعية المرضية بلا توقف حتي الآن

تساعد الناس على خفض القلق حينما يواجهون معلومات تثير التهديد (كل الموجودين علي الساحة أصبح مطلوبا منهم أن ينزلوا البحر ويثبتوا أنهم سباحون مهرة ومؤمنون بالديمقراطية فعلا لا قولا) وهنا يحضرني قول **المستشار أحمد مكي** في لقائه مع مني الشاذلي بعد استقالته حين قال أنه اكتشف أنه لا يصلح للسياسة وأن آل مكي فقدوا الكثير بعد اشتراكهم في الحكم ، وقال أيضا أن القول غير الفعل وهذا نضج نفسي وعقلي لكنه للآسف متأخر ولكن يحمد للمستشار وأخيه أنهما توقفا عن استخدام الحيل الدفاعية وواجها نفسهما بحياد وبنضج.

لو عدنا للمشهد السياسي بعد تنحي مبارك سنجد اختفاء **التسامي** الذي ظهر في أيام الثورة الأولي ، **والتسامي** آلية دفاعية يلجأ إليها الإنسان عندما تضيق عليه الأمور ويزداد التوتر بأعلى درجات الشدة (فترة الاعتصام وما أحاط بها من تخوين ومن ألم ومن فقد للشهداء ، حيث ظهر انكار الذات والاهتمام بالآخر)، وهذه الحيلة الدفاعية من أهم الحيل وأفضلها، والأكثر انتشارا ، ويدل استخدامها على الصحة النفسية العالية. فبواسطتها يستطيع الإنسان أن يرتفع بالسلوك العدواني المكبوت إلى فعل آخر مقبول اجتماعيا وشخصياً (نتحدث عن نحن بدلا من الأنا)، وظهر التسامي في منتجات فكرية وأدبية وشعرية وفنية نتذكرها جميعا وكان أغلبها عفوي ووليد الميدان ويستخدمه المعتصمون للترفيه ولشحذ الهمم وكانت أعمال مقبولة ووجدت الرضا من أفراد المجتمع. تذكروا أن بعد الثورة لم يتم تقديم عمل فني واحد متقن لأن المبدعين للأسف لم يستغلوا هذه الأيام المجيدة وانتظروا ليعلموا لمن ستكون الغلبة وبالتالي بدأت اعمالهم بعد نهاية فترة التسامي فكانت مسخ مشوه بلا طعم ولا لون.

ويمثل الدين أعلى درجة من الإعلاء والتسامي بالنسبة للإنسان في ظروف التوتر والضغوط الشديدة والأزمات وظهر هذا في الالتزام بالصلوات وترتيل القرآن وإقامة القداس وغياب التحرش والسرقة بل وأصبح للثورة خطيب أيضا.

والتسامي حول كل الصراعات سواء سياسية أو فكرية أو عقائدية او حتي اجتماعية إلى مجالات مفيدة وسليمة ومقبولة اجتماعيا، ومكن كل فرد من الإبقاء على هذه الصراعات

لو عدنا للمشهد السياسي بعد تنحي مبارك سنجد اختفاء التسامي الذي ظهر في أيام الثورة الأولي

لأن المبدعين للأسف لم يستغلوا هذه الأيام المجيدة وانتظروا ليعلموا لمن ستكون الغلبة وبالتالي بدأت اعمالهم بعد نهاية فترة التسامي فكانت مسخ مشوه بلا طعم ولا لون

انتهت الثورة وبدأ البحث عن الغنائم واختفي التسامي وظهرت الحيل المرضية بجدية ، فظهر التبرير كإحدى أهم الحيل في هذه المرحلة

التبرير وسيلة دفاعية ترمي إلى محافظة الفرد على احترامه لنفسه وتجنب الشعور بالإثم والألم (فهو يعمل لصالح الوطن) ، وتعطيه الشعور بأن ما قام به قد جاء بناء على تفكير منطقي معقول

انقسمت مصر إلي معسكرين كبيرين وبدأت الحيل في الظهور تباعا،

مكبوتة وبعيدة عن الوعي.

وانتهت الثورة وبدأ البحث عن الغنائم واختفي التسامي وظهرت الحيل المرضية بجدية ، فظهر **التبرير** كإحدى أهم الحيل في هذه المرحلة حيث رفضت العديد من القوي السياسية في هذا الوقت (الأحزاب الكرتونية في عهد مبارك / شباب الثورة الذين قرروا إنشاء أحزاب / بعض المفكرين الليبراليين وبعض الاعلاميين المشهورين) فكرة استفتاء مارس وحاربوه وفعلت القوي الاسلامية العكس تماما بل تعدي الأمر الخلاف السياسي إلي أنه خلاف ديني فمن يوافق علي الاستفتاء مؤمن وينشد الاستقرار ومن يرفضه فهو خارج عن الملة ويمهد للفوضى واستمرار حكم العسكر وهذه المبررات تبدو منطقية إذا كانت لا تخفي خلفها أطماع وأهداف شخصية ، فالتبرير هو إعطاء أسباب مقبولة اجتماعيا للسلوك (الاستقرار كما يدعي الاسلاميون / بناء ديمقراطية سليمة قائمة علي دستور يمثل كل المصريين كما ادعي الآخرون) بغرض إخفاء الحقيقة عن الذات أو عن المجتمع (طمع كل طرف أن يكون مشارك فاعل في الحكم وخاصة أن الطريق فجأة أصبح ممهد لرئاسة الجمهورية)، **والتبرير** وسيلة دفاعية ترمي إلى محافظة الفرد على احترامه لنفسه وتجنب الشعور بالإثم والألم (فهو يعمل لصالح الوطن) ، وتعطيه الشعور بأن ما قام به قد جاء بناء على تفكير منطقي معقول . ومن هنا انقسمت مصر إلي معسكرين كبيرين وبدأت الحيل في الظهور تباعا، فظهر **الهروب أو الكبت** من خلال الدعوة إلي رفض الاستفتاء أو رفض الذهاب للتصويت تحت دعاوي مختلفة في كل مرة (انتخابات مزورة / محسومة للإسلاميين لأنهم الأكثر تنظيما / رفضا لبيع صوتك بالزيت والسكر / لعدم إعطاء الانتخابات شرعية) :**والهروب** عملية عقلية لاشعورية يلجأ إليها الفرد للتخلص من شعور بالقلق والضيق الذي يعانيه بسبب وجود عوامل متضاربة الأهداف في نفسه(الصندوق هو الحل بس أنا هاخسر لو اشتركت). وباستخدام هذه الآلية فإن الإنسان يحرر نفسه ولو مؤقتاً من الضغوط المتسلطة عليه وتشكل عبئا لا يطيقه، فيهرب من الموقف الضاغط بكبته ومحاولة تحييده على الأقل. لكي يحصل على توازنه النفسي، وهذه الآلية لا يستخدمها إلا الذين ليس لديهم قدرة علي المواجهة وتحمل المواقف.

ثم ظهرت حيلة **التعويض** بين العديد من الفئات فظهرت النقابات المستقلة والطلبات

فظهر الهروب أو الكبت من خلال الدعوة إلي رفض الاستفتاء أو رفض الذهاب للتصويت تحت دعاوي مختلفة في كل مرة

الهروب عملية عقلية لاشعورية يلجأ إليها الفرد للتخلص من شعور بالقلق والضيق الذي يعانيه بسبب وجود عوامل متضاربة الأهداف في نفسه

ظهرت حيلة التعويض بين العديد من الفئات فظهرت النقابات المستقلة والطلبات الفئوية والائتلافات الثورية المتعددة والظهور الإعلامي وبدأ كل شخص يبحث له عن تاريخ وماضي عارض فيه مبارك

التعويض: حيلة دفاعية لاشعورية يلجأ إليها الإنسان حينما يبتغي سلوكا يعوض فيه شعوراً بالنقص، والتعويض محاولة لاشعورية تهدف للارتقاء بالذات إلي الصورة المثالية الذي يحبها الإنسان لنفسه. وقد يهدف الإنسان إلي تغطية الشعور بالنقص أو

تحقيق مكاسب ذاتية

الفئوية والائتلافات الثورية المتعددة والظهور الإعلامي وبدأ كل شخص يبحث له عن تاريخ وماضي عارض فيه مبارك وظهرت فيديوهات تظهر هذه المعارضة.

والتعويض: حيلة دفاعية لاشعورية يلجأ إليها الإنسان حينما يبتغي سلوكاً يعوض فيه شعوراً بالنقص، والتعويض محاولة لاشعورية تهدف للارتقاء بالذات إلي الصورة المثالية الذي يحبها الإنسان لنفسه. وقد يهدف الإنسان إلى تغطية الشعور بالنقص أو تحقيق مكاسب ذاتية مثل لفت الانتباه والعطف والاحترام أو إثارة الآخرين، أو ربما لكي يعزز موقعه في المجتمع الذي يعيش فيه (اري الكثيرون يتذكرون نماذج ابتلينا بها من اعلاميين وسياسيين وفنانين وعلماء دين باحثين عن دور مثالي.

التكوين العكسي وهي أخطر ما حدث في الثورة حيث تحالف الثوار مع أعداء الثورة ، وتحالف الاشتراكي مع الرأسمالي والمتدين مع العلماني والفاسد مع غير الفاسد تحت مبررات التقبل والقبول والرغبة في الصفح وغيرها من المبررات

وظهر بعد ذلك **التكوين العكسي** وهي أخطر ما حدث في الثورة حيث تحالف الثوار مع أعداء الثورة ، وتحالف الاشتراكي مع الرأسمالي والمتدين مع العلماني والفاسد مع غير الفاسد تحت مبررات التقبل والقبول والرغبة في الصفح وغيرها من المبررات التي ساعدت علي ظهور حيلة التكوين العكسي: وهو إخفاء الدافع الحقيقي عن النفس إما بالقمع أو بالكبت، ويساعد هذا الميكانزيم الفرد كثيراً في تجنب القلق والابتعاد عن مصادر الضغوط فضلاً عن الابتعاد عن المواجهة الفعلية، مثل إظهار سلوك المودة والمحبة المبالغ فيهما بديلا لحالة العدوان الشديد الموجود في داخله (الدفاع عن النائب العام وعن الزند وعن عكاشة بل وعن العسكر الذين طالبوا بأبعادهم عن الحكم).

ظهر النكوص (الارتداد) حيث طالب الثوار المؤسسة العسكرية بالانقلاب علي الشرعية وقيادة البلاد وهذا يمثل التقهقر إلى مرحلة سابقة وهي المرحلة الانتقالية التي شكك الجميع في إنهائها وقتها بل وطالبوا بمحاكمة القائمين عليهم والغريب أنهم نفس الاشخاص من طلب تخلي العسكر هم من طلبوا عودتهم

ثم ظهر **النكوص (الارتداد)** حيث طالب الثوار المؤسسة العسكرية بالانقلاب علي الشرعية وقيادة البلاد وهذا يمثل التقهقر إلى مرحلة سابقة وهي المرحلة الانتقالية التي شكك الجميع في إنهائها وقتها بل وطالبوا بمحاكمة القائمين عليهم والغريب أنهم نفس الاشخاص من طلب تخلي العسكر هم من طلبوا عودتهم . إن النكوص كحيلة دفاعية تحقق للفرد ولو لفترة مهرباً من الضغوط المحيطة به وذلك بالرجوع إلى مرحلة سابقة تتمثل فيها السعادة والراحة النفسية (نلعب من الأول يمكن تتغير الأدوار والمكاسب) ، يلجأ إليها الإنسان للتخفيف عما يعانيه الآن من نكسات (خسارات متتالية للمعارضة)، فيتذكر ماضيه المليء بالأمان الذي عاشه، ويذهب بتفكيره بعيداً إليه، وكأنه حلم مر سريعاً. وقد أثبتت الدراسات النفسية بأن

قد أثبتت الدراسات النفسية بأن النكوص استجابة شائعة للإحباط.

النكوص استجابة شائعة للإحباط.

والأخطر أن هناك دعوات حاليا تري أن عهد حسني أفضل وينادي بعودته وهو ما نطلق عليه **التوحد** مع المعتدي، فالتوحد :عملية لاشعورية يدمج فيها الشخص هويته مع شخص آخر تربطه به روابط انفعاليه قوية. وعملية التوحد تخدم أغراضاً كثيرة وتعتبر وسيلة لتحقيق الرغبات التي لا يستطيع الفرد نفسه تحقيقها (أنا لم أحكم يبقي نرجع للحاكم السابق لنحرم الحالي). فيقتنع بتحقيقها في حياة الغير ويرضاها لنفسه كأنه قام بها ،

ويكثر استخدام هذه الحيلة الدفاعية لدى الشخصيات التي تتسم بخلل التفكير مثل الشخصية الفصامية أو البارانويا (هذاءات العظمة والاضطهاد) وهي أنماط من الشخصيات ليست مرضية وإنما نمط سلوكها وتكوينها الشخصي بهذا النوع.

ونأتي لآخر الحيل المستخدمة وهو **التحويل** حيث ظهرت دعوات التمرد وسحب الثقة من الرئيس والدعوة للتظاهر وتدخل القضاة في السياسة سواء بطريقة مباشرة مثل تعطيل المحاكم او رفض الاشراف علي الاستفتاءات والانتخابات أو بطريقة غير مباشرة عن طريق اصدار احكام تحرج السلطة الحاكمة وكل هذا بدعوي حماية استقلال القضاء من قضاه جاء بهم مبارك لتقويض القضاء.

فالتحويل آلية دفاعية تستخدم لنقل او توجيه مشاعره وانفعالاته وسلوكياته المحبوسة تجاه شخص(رفض الإخوان أو الاسلاميين عموما) أو موقف خلاف الأشخاص أو المواقف الحقيقية (حماية مصر). وفي التحليل النفسي يدل هذا الميكانزيم على موقف انفعالي معقد. يتضح من العرض السابق أن الجميع بلا استثناء يلعب سياسة بطريقة الأطفال أو المراهقين بمعني أن الديمقراطية تعني أن أربح أنا في صندوق الانتخابات ، والحرية هي ان أفعل ما أراه في صالحي دون حساب ودون أن يفعل الآخر هذا.

الجميع يبحث عن مصالحه الشخصية دون اهتمام بمصر أو بالمصريين فهل سنفيق من وهم أنهم يخدموننا أم سنظل نردد كالبلهاء يحيا س أو ص او ع

هناك دعوات حاليا تري أن عهد حسني أفضل وينادي بعودته وهو ما نطلق عليه التوحد مع المعتدي

التحويل آلية دفاعية تستخدم لنقل او توجيه مشاعره وانفعالاته وسلوكياته المحبوسة تجاه شخص(رفض الإخوان أو الاسلاميين عموما) أو موقف خلاف الأشخاص أو المواقف الحقيقية (حماية مصر)

الجميع بلا استثناء يلعب سياسة بطريقة الأخفال أو المراهقين بمعني أن الديمقراخية تعني أن أربح أنا في صندوق الانتخابات ، والحرية هي ان أفعل ما أراه في صالحي دون حساب ودون أن يفعل الآخر هذا

ARABPSYNET PRIZE 2013

جائزة يحيى الرخاوي لشبكة العلوم النفسية العربية 2013

مخصصة هذا العام للطب النفسي

www.arabpsynet.com/Prize2013/APNprize2013.pdf